القصص القرآني
بناؤه الفني ومفهومه الدعوي

المقدمة.

من حكم الله تعالى البالغة في القرآن الكريم أن جعله كتابا، شاملا، ضافيا، محتويا على جميع أساليب وألوان البيان، ويأتي على رأس هذه الأساليب البيانية والألوان البلاغية، أسلوب القصص في القرآن الكريم الذي يشكل جزءا كبيرا من الموضوعات التي عالج عن طريقها الله سبحانه وتعالى عدد من القضايا وساق من خلال هذا الأسلوب جملة من التوجيهات وأخبارا عن الأمم السابقة بغرض أحذ العبرة والاستفادة من تجارب هذه الأمم في ذكر ما أصابها من عذاب أو هلاك. وقد جاء القرآن الكريم متضمنا من خلال سوره وآياته جملة من هذه المعاني الشاملة، وذلك لأن القصص جزءا مهما من أجزاء الدعوة وعصرا فاعلا من عناصرها التي تقوم عليها أسس البلاغ وأساليب الإقناع والحجاج، ووسيلة من وسائل توصيل المفاهيم، و منهجا من مناهجها، فكان لزاما على المشتغل بالقرآن و علومه أن يدرس أساليبه و خصائصه، و يستفيد من أساليبه ومنهجه في سياق القصص ومقاصده ومراميه من خلال ورود هذه القصص، من أجل الإقناع وإيصال الفكرة وتقريب المعاني عبر الصور الذهنية التي يمكن استدعائها في كل حين.

و موضوع القصص القرآني كما يقول الدكتور: موسى شاهين لاشين: طويل متشعب، خليق بالمؤلفات و المجلدات، جدير بالدراسة في عدة سنوات[1].

و لكن حسبنا في بحثنا هذا المحدود، أن نقف وقفات مع التكنيك القرآني البديع في وضعه معايير سباقة في بناءه القصصي على مستوى عال من التشويق، والتسلسل المنطقي، والحبكة المفعمة بضروب من الانفعالات التي ترمي إلى أهداف عليا سامية، صارت منهجا متبعا تمثله العديد من الروائيين والقصاصين، وأسلوب القرآن الكريم يعتبر من أبدع الأمثلة في استخدام

[1] / دكتور موسى شاهين لاشين اللآلئ الحسان في علوم القرآن، القاهرة دار الشروق، الطبعة الأولى، السنة (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م) صـ ٢٥٨.

[1] مناع القبطان، مباحث في علوم القرآن، القاهرة مكتبة وهبة، الطبعة الحادية عشرة، السنة (١٤٢١هـ، ٢٠٠م) ص: ٣٠١.

الأسلوب القصصي في الدعوة والإقناع لأهل الشرك والتسلية للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم كما سيأتي في ثنايا هذا البحث.

وأسلوب القصص من الأساليب التي تثبت الفكرة وتعزز المنطق، وتقوي الحجة، أن تكون الحادثة التي يتم عرضها مرتبطة بالأسباب، والنتائج يهفو إليها السمع ويتلمسها الوجدان، فإذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضين كان حب الاستطلاع لمعرفتها من أقوى العوامل التي تعين على رسوخ معانيها في النفس، والموعظة الخطابية عندما تسرد سرداً لا يجمع العقل أطرافها ولا يعي جميع ما يلقى فيها، ولكنها حين تأخذ صورة من واقع الحياة في أحداثها تتضح أهدافها، ويرتاح المرء لسماعها، ويصغي إليها بشوق ولهفة، ويتأثر بما فيها من عبر وعظات، وقد أصبح أدب القصة اليوم فنا خاصا من فنون اللغة وآدابها، والقصص الصادق يمثل هذا الدور المشرق في الأسلوب العربي أقوى تمثيل، وأصدق تعبير، ويتجلى ذلك في أبلغ صوره الأدبية والدعوية في: قصص القرآن الكريم.[٢]

موضوع البحث:

البحث دراسة مبسطة للجوانب الفنية في القصص القرآني، وكيف تم توظيف هذا البناء الفني الجميل المشوق ليخدم هدف دعوي سام وغرض تربوي عظيم، حيث تنزل القرآن على أمة أمية، تستعين على حفظ موروثها الثقافي والأدبي الذي يتمثل في الشعر وطرفا من الأخبار المنثورة على ذاكرة حافظة قوية، ولم يغفل القرآن هذه الملكة لديهم فساق عددا من المفاهيم وشواهد العبر بإسلوب قصصي بسيط يسهل استيعابه وخزنه بمعناه دون حفظه ويسهل تناقله بينهم.

أسباب اختيار الموضوع:

١ـ لفت الانتباه إلى أساليب القصص في القرآن الكريم، حتى يقف عليها عدد من شباب القصاصين الذين يهتمون بهذا اللون الأدبي من الفنون، وتقام له المنتديات والمسابقات، وترصد له الجوائز، ويقدم عبر الإذاعات المسموعة والمرئية[٣]

---

[٢] / انظر منا ع القطان: مباحث في علوم القرآن، مصدر سابق: ص، ٣٠٠.

[٣] / في اذاعة أم درمان كان يقدم الأستاذ أحمد عبد المجيد: برنامج مع أدباء الشباب، ويتناول هذا البرنامج ابداعات الشباب من الشعر والقصة والخاطرة، وفي إذاعة البي بي سي (

٢ــ محاولة استخلاص نظرية قرآنية عن أسلوب القرآن القصصي وتوظيفه هـذا الأسلوب لخدمه أهداف القرآن الكريم العامة تربوية كانت أو دعوية .
٣ــ المساهمة في خدمة القرآن الكريم لأنال الأجر والثواب ، والشرف الكبير إذ يشرف الباحث بشرف الموضوع.

أهمية الموضوع :

تأتي أهمية الموضوع من كونه دراسة تبحث في جانب مهم من جوانب القرآن الكريم ، وفي أسلوب من أساليبه المتنوعة لتنوع موضوعاته ، وهذا الجانب هو القصص القرآني ، والدراسة تنظر في بنائه من الناحية الفنية وتوظيف هذا البناء الرائع ليخدم قضية القرآن الكبرى وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور وتوجيههم لكل خير .

منهج البحث :

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الموضوعي والمنهج الوصفي والتحليلي . ولم اعتمد المنهج التاريخي كثيرا ؛ لأنني لم أتطرق لدراسة القصص من ناحية المحتوى الموضوعي أو السردي ، بل كان البحث أشبه بالدراسة الموضوعية الوصفية التحليلية للقصة من الناحية الفنية و أقسامها وفوائدها ، الخ ....

البريطانية) القسم العربي برنامج (القصة القصيرة) بالتعاون مع مجلة العربي الكويتية ، حيث يتم نشر القصة الفائزة بها بعد اذاعتها .

المبحث الأول
مفهوم القصة و أنواعها

القصة لغة :

قَصَّ الشيء بالمقَصّ يَقصه قَصّاً. وقص الحديث يَقُصّه قَصَصاً، وكذلك اقتفاء الأثر قَصَص أيضاً. قال اللّه عزّ وجل: " فارتَدّا على آثارهما قَصَصاً ". والقَصّ: عَظم الصدر ، وهو القَصَص أيضاً. ومثل من أمثالهم: " هو ألْصَقُ بك من شعَرات قَصَك ".

ق ص ص : قَصّ أَثَرَهُ تَتَبّعَهُ من باب رَدّ وقَصَصاً وكذا اقْتَص أَثَرَه وتَقَصّص أَثَرَه. والقِصّة الأَمْر والحَدِيثُ وقد اقْتَصّ الحَدِيثَ رَوَاه على وَجْهه. وقَصّ عليه الخَبَر قَصَصاً والاسمُ أيضاً القَصَص بالفتح وضعٍ موْضعَ المَصْدر حتّى صار أَغْلَبَ عَلَيه. والقِصَص بالكسر جَمْعُ القِصَة التي تُكْتَب. والقِصَاص القَوَدُ وقد أَقَصّ الأَميرُ فُلاناً من فُلاَن إذا اقْتَصّ لهُ مِنْهُ فَجَرَحَه مثْلَ جَرْحه أو قَتَلَه قَوَداً. واسْتَقَصّه سَأَلَه أَن يُقِصّه منه.

والقُصّةَ: الخُصْلَة من الشّعَر. وربما قالوا لناصية الفرس: قُصة . والقصة: الجِص. وبيت مقصّص، أي مجصّص. [٤] ، وكذلك اقْتَصّ أثره، وتَقَصّص أثرَه. وقد اقْتَصَصْتُ الحديث: رويته على وجهه. وقد قَصّ عليه الخبر قَصَصاً. والاسمُ أيضاً القَصَصُ بالفتح، وُضِعَ موضع المصدر حتّى صار أغلبَ عليه . و قَصّ أثَرَه قَصّاً وقَصيصاً تتبّعَه، الخَبَرَ أعْلَمَهُ. " فارْتَدّا على آثارِهما قَصَصاً " ، أي رجَعا من الطّريقِ الذي سلَكاهُ يَقُصّانِ الأثَر. و " نحنُ نقُصّ عليكَ أَحْسَنَ القَصَصِ " نُبَيِنُ لك أَحْسَنَ البيانِ.

القصة :

وكلمة قصة بكسر القاف وفتح الصاد المشددة : جمع قصص، بمعنى الحكاية ، وقد يدخلها الكذب...Story , anecdote [5] . والقصة هي التي تُكْتَبُ والقاص: مَنْ يأتي بالقِصّةِ[٦] .

---

[٤] / جمهرة اللغة ، باب قصص ،١/ ٤٨ .
[5] /معجم لغة الفقهاء :١/ ٣٦٤ .
[٦] / القاموس المحيط : باب قص أثره قصا ، ٢/ ١٧٢ .

وفي الحديث: " نهى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن تقصيص القبور"[٧]. قال أبو عبيد: التقصيص هو التجصيص وذلك أن الجص يقال له القَصَّة، يقال: قصّصْتُ البيت وغيره إذا جَصّصْته[٨].

جانب من استعمالات مفردة (قص) في اللغة :

وقص الثوب، وغيره - قصا: قطعه.

وقص الشئ: تتبع أثره.

وقص القصة: رواها.

اقتص فلان: أخذ القصاص.

وقص الأثر: تتبعه.

وقص الخبر: رواه على وجهه.

أقص فلان من نفسه: مكن غريمه عن الاقتصاص منه.

وقص من غريمه: تمكن من الاقتصاص منه.

وقص فلانا: مكنه من القصاص.

وقص فلانا : أخذ له قصاصه.

وفي القرآن الكريم:

قوله تعالى : (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون) (البقرة: ١٧٩) القصة: الجص. قالت عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها: " لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء"[٩]. تريد بذلك الطهر من الحيضة[١٠].

وتقَصّصَ الخبر تتبّعه والقِصّة الأَمرُ والحديثُ واقْتَصَصْتُ الحديث رَوَيْته على وجهه وقَصّ عليه الخَبَرَ قصصاً وفي حديث الرؤيا لا تقُصّها إلا على وادٍّ يقال قَصَصْتُ الرؤيا على فلان إِذا أَخبرته بها أَقُصّها قَصّاً والقَصّ البيان والقَصَص بالفتح الاسم والقاصّ الذي يأْتي بالقِصّة على وجهها كأَنه يَتَتَبّع معانيَها وأَلفاظَها ؛ ولا يَقُصّ مكتسباً أَو يكون القاصّ مختالاً يفعل ذلك تكبراً على الناس أَو مرائياً

[٧] / صحيح مسلم : باب النهي عن تقصيص القبور، ٥ / ٩١، رقم الحديث : ١٦١١. وانظر : سنن النسائي : باب البناء على القبر، ٧ / ١٢٨، رقم الحديث : ٢٠٠١.

[٨] / تهذيب اللغة : باب قص، ٣ / ١١٨.

[٩] / صحيح الإمام البخاري : باب اقبال المحيض وإدباره، ٢ / ٣١. وانظر : الموطأ : باب طهر الحائض، ١/ ١٧٧، رقم : ١١٧.

[١٠] /القاموس الفقهي : القاموس الفقهي، ١/ ٣٠٤.

يُرائي الناس بقوله وعمله لا يكون وعظُه وكلامه حقيقة وقيل أَراد الخطبة لأَن الأُمراء كانوا يلونها في الأَول ويعظون الناس فيها ويَقُصّون عليهم أَخبار الأُمم السالفة وفي الحديث القاصّ ينتظر المَقْتَ لما يَعرِضُ في قِصَصه من الزيادة والنقصان ومنه الحديث أَنّ بَني إسرائيل لما قَصّوا هلَكوا وفي رواية لما هلكوا قَصّوا أَي اتكلوا على القول وتركوا العمل فكان ذلك سببَ هلاكهم أَو العكس لما هلكوا بترك العمل أَخْلَدُوا إلى القَصَص وقَصّ آثارَهم يَقُصّها قَصّاً وقَصَصاً وتَقَصَّصها تتبّعها بالليل وقيل هو تتبع الأَثر أَيّ وقت كان قال تعالى فارتدّا على آثارهما قَصصاً وكذلك اقْتَصّ أَثره وتَقَصّص ومعنى فارتدّا على آثارهما قَصَصاً أَي رَجَعا من الطريق الذي سلكاه يَقُصّان الأَثر أَي يتّبعانه وقال أُمية بن أَبي الصلت قالت لأُخْتٍ له قُصّيه عن جُنُبٍ وكيف يَقْفُو بلا سَهْلٍ ولا جَدَدِ ؟ قال الأَزهري القصّ اتَباع الأَثر ويقال خرج فلان قَصَصاً في أَثر فلان وقَصّاً وذلك إذا اقْتَص أَثره وقيل القاصّ يَقُص القَصَص لإتْباعه خبراً بعد خبر وسَوْقِه الكلامَ سوقاً وقال أَبو زيد تَقَصّصْتُ الكلامَ حَفظته . و أَقَصّت الأَرضُ أَي أَنْبَتَتْ .

وضَربه حتى أَقَصّ على الموت أَي أَشْرف وأَقْصَصْته على الموت أَي أَدْنَيْته قال الفراء قَصّه من الموت وأَقَصّه بمعنى أَي دنا منه وكان يقول ضربه حتى أَقَصّه الموت الأَصمعي ضربه ضرباً أَقصّه من الموت أَي أَدناه من الموت حتى أَشرف عليه.

وتقاصّ القومُ إذا قاصّ كل واحد منهم صاحبَه في حساب أَو غيره والاقْتصاصُ أَخْذُ القصاص والإقْصاصُ أَن يُؤْخَذ لك القصاصُ وقد أَقَصّه وأَقَصّ الأَمير فُلاناً من فلان إذا اقْتَصّ له منه فجرحه مثل جرحه أَو قتلَه قوَداً واسْتَقَصّه سأَله أَن يُقِصّه منه الليث القصاصُ والتّقاصّ في الجراحات شيءٌ بشيء وقد اقْتَصّ من فلان وقد أَقْصَصْت فلاناً من فلان أَقصه إقْصاصاً وأَمْثَلْت منه إمْثالاً فاقتَصّ منه وامْتَثَل والاسْتِقْصاص أَن يَطْلُب أَن يُقَصّ ممن جرحه وفي حديث عمر رضي اللّه عنه :(يت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يُقِصّ من نفسه)[11] .

أَقَصّه الحاكم يُقِصّه إذا مكّنَه من أَخذ القِصاص وهو أَن يفعل به مثل فعله من قتل أَو قطع أَو ضرب أَو جرح والقِصَاصُ الاسم .

[11] / سنن النسائي : باب القصاص من السلاطين ، ١٤ / ٤١٦ ، رقم الحديث : ٤٦٩٥ . وانظر : مسند الإمام أحمد ، أول مسند عمر بن الخطاب رضي اللّه تعالى عنه ، ١/ ٢٧٧ ، رقم : ٢٧٣ .

و ذي القَصّةِ هي بالفتح موضعٍ قريبٍ من المدينة كان به حصىً بَعَثَ إليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم محمد بن مَسْلمة وله ذكر في حديث الردة [١٢].

(قص) القاف والصاد أصلٌ صحيح يدلّ على تتبّع الشّيء. من ذلك قولهم: اقتصَصْتُ الأثَر، إذا تتبّعتَه(٦). ومن ذلك اشتقاقُ القِصاص في الجِراحِ، وذلك أنّه يُفعَل به مثلُ فِعلِه بالأوّل، فكأنّه اقتصّ أثره. ومن الباب القِصّة والقَصَص، كلّ ذلك يُتَتَبّع فيذكر. وأمّا الصّدر فهو القَصّ، وهو عندنا قياسُ الباب، لأنّه متساوي العِظام، كأنّ كلّ عظم منها يُتْبع للآخَر [١٣].

فقصوا عليه ذنبنا وتجاوزوا ... ذنوبهم عند القصيصة والأثر

أي عند القصّة والحكاية. ورفع قصّته إلى السلطان. والقصّاص يقصّون على الناس ما يرقّ قلوبهم. " وهو ألزم لك من شعرات قصّك " وقصصك وهو الصدر. ونهي عن تقصيص القبور.

ومن المجاز: عضّ بقصاص كتفيه وهو منتهاهما حيث التقيا. وقاصصته بما كان لي قبله أي حبست عنه مثل ذلك. وتقاصّوا: قاصّ كل واحد منهم صاحبه في الحساب وغيره، مأخوذ من مقاصّة وليّ المقتول القاتل [١٤].

قصص القرآن :

هي أخباره عن أحوال الأمم السابقة ، و النبوات السابقة ، و الحوادث الواقعة ، و قد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي ، و تاريخ الأمم ، و ذكر البلاد و الديار ، و تتبع آثار كل قوم ، و حكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه [١٥].

الأقصوصة:

هي إحدى الكلمات التى اشتقت في العصر الحديث مفردا لأقاصيص ، ولم تعرفها المعاجم العربية القديمة ، وإن عرفت كلمة "أقاصيص" جمعا لقصة أو قصص.

و في الاصطلاح: هي ما يدل على القصة بكلمة واحدة. وتوضع الأقصوصة من حيث الطول -عادة- فى مواجهة "الرواية" ، وإن كانت هناك فروق أخرى ببن

---

[١٢] / لسان العرب : باب قصص ، ٧ / ٧٣ .
[١٣] / معجم مقاييس اللغة : باب قص ، ٥ / ٧ .
[١٤] / أساس البلاغة ، باب قصص ، ١ / ٣٨١ .
[١٥] / مناع القطان ، مباحث علوم القرآن ، ص ٣٠٠ .

هذين الجنسين الأدبيين أكثر أهمية ، فى مقدمتها: الأثر الواحد الذى يجب أن يسود الأقصوصة من مبتدئها إلى منتهاها.

عناصر الأقصوصة :

أما عناصرها: فهى نفس عناصر الرواية من: شخصية ، وحدث ، وحوار ، ووصف ، وتحليل ، فضلا عن قيام هذه العناصر على أساس من التحليل المقنع ، والابتعاد ما أمكن عن المصادفة.

وليس شرطا أن يحتل الحدث المكان الرئيسي في الأقصوصة ، فقد تدور حول رسم شخصية من الشخصيات ، أو قد تكون غايتها الأولى وصف منظر من المناظر ، ووقعه على نفس بطلها ، أو قد يقوم بناؤها أساسا على الحوار... وهكذا.

وقد عرف الأدب العربي القديم الحكايات: تاريخية ، وواقعية ، وخرافية ، وكثير منها يصلح -بكل سهولة- أن يصنف داخل هذا الفن[١٦] ، وكتب الأدب العربي القديم زاخرة بأمثلة لا تكاد تنتهي من هذا النوع[١٧].

القصة هي وسيلة للتعبير عن الحياة أو القطاع معين من الحياة يتناول حادثة واحدة أو عددا من الحوادث بينها ترابط سردي ، و يجب أن تكون لها بداية و نهاية[١٨].

أنواع قصص القرآن الكريم :

يمكن تقسيم قصص القرآن الكريم من حيث تعلقها بقصص الأنبياء وغير الأنبياء إلى نوعين من القصص :

الأول : قصص يتعلق بأحوال الأنبياء وما كان منهم :

كقصة آدم ونوح وهود وصالح وشعيب ، وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، ويوسف وأيوب ويونس و موسى وهارون وداود وسليمان وزكريا وعيسى عليهم وعلي نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام .

ويلحق بهذا النوع وما جاء من قصص أشخاص ، أو أشياء تابعة لقصة نبي من الأنبياء ، كقصة إبليس ، وقصة قابيل وهابيل التابعين لقصة آدم [عليه الصلاة

---

[١٦] / مفاهيم إسلامية : باب الأقصوصة ، ١/ ٤١.

[١٧] / د / الطاهر أحمد مكي ، الأدب القصصي و المسرحي في مصر : الطبعة الرابعة ، دار المعارف سنة ١٩٨٣م ، مصر / القاهرة ، (انظر الكتاب) .

[١٨] / القرآن و القصة الحديثة : محمد كامل حسن المحامي ، صـ ٩

والسلام] ، وكقصة فرعون ، وقصة العجل ، وقصة البقرة ، وقصة الخضر ، وقصة قارون ، التابعة لقصة موسى [عليه السلام][19].

[19]/ انظر الإتقان في علوم القرآن . ص :٣٠١ .

الثاني : قصص يتعلق بغير الأنبياء :

كقصة أهل الكهف ، وقصة ذي القرنين ، وقصة الرجلين المؤمن والكافر ، التي في سورة الكهف ، وقصة لقمان وقصة أصحاب الجنة ، وقصة أصحاب الأخدود ، وقصة سبأ ، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهو ألوف حذر الموت ، وقصة الذي مر علي قرية هي خاوية على عروشها وقصة أصحاب الفيل[٢٠] .

الثالث : قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله { صلى الله عليه و سلم } :

كغزوة بدر و أحد في سورة آل عمران ، و غزوة حنين و تبوك في التوبة ، و غزوة الأحزاب في سورة الأحزاب ، و الهجرة ، و الإسراء ، و نحو ذلك .

مواضيع القصص القرآني :

كما يمكن تقسيم القصص القرآني من حيث موضوع القصة إلي نوعين :ـــ

الأول : قصص تناولت جانباً واحد من حياة صاحب القصة :

وكثير ما كان هذا الجانب متعلقاً بالدعوة وبنجاة المؤمنين ، وهلاك الكافرين ، وانذار كفار قريش ، وتبشير المسلمين وتسلية لرسول الله وتثبيتا لفؤاده [صلى الله عليه وسلم] ، كقصة هود وصالح وشعيب ولوط ويونس عليهم السلام . وأحيانا كان هذا الجانب يتعلق بجزئية من جزئيات الدعوة كقصة أيوب ، وقصة أهل الكهف ، وقصة لقمان ، وقصة أصحاب الجنة .

الثاني : قصص تناولت جوانب مختلفة :

كقصة يونس عليه السلام[٢١] .

تكرار القصة وتجزئتها :

كما يمكن تقسيم القصص القرآني من حيث استيفاء القصة في مكـــان واحد أو توزيعها إلي نوعين :

الأول : قصص جاءت مستوفاة في مكان واحد من سورة واحدة :

---

[٢٠]/ دكتور موسى شاهين لاشين اللآلئ الحسان في علوم القرآن ، القاهرة دار الشروق ، الطبعة الأولى ، السنة (١٤٢٣هــ ، ٢٠٠٢م) صــ ٢٥٨ .

[٢١]/ مناع القبطان ، مباحث في علوم القرآن ، القاهرة مكتبة وهبة ، الطبعة الحادية عشـــرة ، السنة (١٤٢١هــ ، ٢٠٠٠م) صــ ٣٠١ .

سواء كانت متعلقة بجانب واحد ، كقصة ذي القرنين ، وقصة أصحاب الجنة وقصة أصحاب الفيل ، أو كانت متعلقة بجوانب مختلفة كقصة يونس [عليه السلام] .

الثاني : قصص تكررت ووزعت أجزاؤها في سور مختلفة :

وهذا النوع هو الغالب والكثير في قصص الأنبياء عليهم السلام[٢٢] .

الثالث :بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها :

فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة ، و القصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر ، و تصاغ في قالب غير القالب ، و لا يمل الإنسان من تكرارها ، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى .

الرابع : قوة الإعجاز :

فإيراد المعني الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي .

الخامس : الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس :

فإن التكرار من طرق التأكيد و أمارات الاهتمام ، كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون ، لأنها تمثل الصراع بين الحق و الباطل أتم تمثيل – مع أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها .

السادس : اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة :

فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام ، و تبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال [٢٣]

القصص القرآني يتنزل ابتداءا أم بطلب :

كما يمكن تقسيم القصص القرآني من حيث نزول القصة استجابة للطلب أو نزولها : بغير طلب إلي نوعين من القصص :

الأول : قصص نزلت بناء على طلب الصحابة أو غيرهم :

وذلك سواء عرف هذا الطلب عن طريق سبب النزول المفهوم من الآثار ، كقصة يوسف وقصة أصحاب الكهف ، أو صرح به في القرآن ، كقوله تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً)[٢٤] .

---

[٢٢] / المصدر السابق : صـ ٣٠٠ .

[٢٣] / مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ، ص : ٣٠٣ .

الثاني : قصص أنزلت من غير طلب في مناسبات ولظروف وحكم يعلمها الحكيم الخبير:

وهذا النوع هو الغالب الكثير[٢٥].

تسمية السورة باسم القصة أو عدم تسميتها:

كما يمكن تقسيم القصص القرآني من حيث تسمية السورة باسم القصة أو عدم تسميتها إلي قسمين :

الأول : قصص سميت السورة باسمها :

وهذا القسم ثلاثة أنواع :

(أ) نوع استوعبت فيه السورة للقصة : فلم يذكر فيها مالا يتعلق بها كقصة نوح وقصة يونس ، وقصة أصحاب الفيل .

(ب) ونوع شغلت القصة جانبا كبيرا من السورة : فكان واضحا تسمية السورة باسمها ، كسورة الكهف ، وسورة مريم ،وسورة لقمان .

(ج) ونوع كان الجزء المذكور من القصة في سورته أقل مما ذكر في غيرها أو قليلا .

بالنسبة لآيات السور . ومع ذلك ، سميت السورة باسم هذا الجزء الصغير ، اهتماما واعتناء به ، كقصة البقرة ، وآل عمران ، والمائدة ، ويونس ، وهود وإبراهيم ، والنحل والإسراء والنمل .

الثاني : قصص لم تسم باسمها سورة من السور :

كآدم ، ولوط ، وإسماعيل وأيوب ، وموسى ، وهارون ، وداود ، وسليمان ، وعيسى ، وذكريا ، وأصحاب الأخدود .

ومن هذا النوع ما كانت القصة غالبة على السورة ولكن جعل الاسم لغيرها ، كسورة البروج ، وأكثرها في قصة أصحاب الأخدود ، وسورة القصص ، وأكثرها في قصة موسى عليه السلام[٢٦].

ومن هنا نذكر بأن أسماء السور توقيفي على الصحيح ، وأن الأساس في تسمية السور لم يكن للكثرة الموضوعية في محتواها[٢٧] ... واللّه اعلم .

---

[٢٤]/ سورة الكهف : الآية ٥٨ .

[٢٥]/ اللآلي الحسان في علوم القرآن (مصدر سابق) ص : ٢٥٧ .

[٢٦]/ اللآلئ الحسان في علوم القرآن ، صـ ٢٦٩ .

المبحث الثاني
القصص القرآني حقيقته وأسلوبه

القصة في القرآن حقيقة لا خيال :

وفي هذا المقام أنقل هذه الكلمات التي ذكرها الأستاذ الشيخ مناع القطان [٢٨] والتي ابتدأها بقوله :

(و الجدير بالذكر أن أحد الطلاب الجامعيين في مصر قدم رسالة لنيل درجة (ألدكتوراة) كان موضوعها : (الفن القصصي في القرآن) [٢٩] أثارت جدلاً طويلاً سنة ١٣٦٧ هجرية ، وكتب عنها أحد أعضاء اللجنة الذين اشتركوا في مناقشة الرسالة ـ وهو الأستاذ أحمد أمين ـ تقريراً بعث به إلي عميد كلية الآداب ، ونشر في مجلة (الرسالة) وقد تضمن التقرير نقدا لاذعا لما كتبه الطالب الجامعي ، وأن كان أستاذه المشرف قد دافع عنه ، وصدر الأستاذ (أحمد أمين) تقريره بالعبارة الآتية : (و قد وجدتها رسالة ليست عادية ، بل هي رسالة خطيرة ، أساسها أن القصص في القرآن عمل فني خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام لصدق التاريخ ، والواقع أن محمداً فنان بهذا المعني) ، ثم قال : (وعلى هذا الأساس كتب كل الرسالة من أولها إلى أخرها ، وإني أرى من الواجب أن أسوق بعض أمثلة ، توضح مرامي كاتب هذه الرسالة وكيفية بنائها) ثم أورد الأستاذ (أحمد أمين) أمثلة منتزعة من الرسالة تشهد بما وصفها به من هذه العبارة المجملة، [٣٠] كإدعاء صاحب الرسالة أن القصة في القرآن لا تلتزم الصدق التاريخي ، وإنما تتجه كما يتجه الأديب في تصوير الحادثة تصويراً فنياً ، وزعم أن القرآن يختلق بعض القصص وأن الأقدمين أخطأوا في عد القصص القرآني تاريخاً يعتمد عليه [٣١] ..

---

[٢٧] / الدكتور / صبي الصالح في مباحث في علوم القرآن ، بيروت لبنان دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني / يناير ٢٠٠٠ .

[٢٨] / انظر : مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص : ٣٠٣ . والشيخ مناع القطان (رحمه الله) عالم مصري هاجر إلى اللمملكة العربية السعودية ، كان يشغل منصب عميد كلية الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود ، له مؤلفات منها : مباحث في علوم القرآن ومباحث في علوم الحديث .

[٢٩] / هو الدكتور محمد أحمد خلف الله .

[٣٠] / انظر : كتاب (الفن القصصي في القرآن الكريم) محمد الخضر الحسين ، ص : ٩٤ .

[٣١] / مباحث في علوم القرآن : ص : ٣٠٣ .

والمسلم الحق هو الذي يؤمن بأن القرآن كلام الله ، وأنه منزه على ذلك التصوير الفني الذي لا يعني فيه بالواقع التاريخي ، وليس قصص القرآن إلا الحقائق التاريخية تصاغ في صور بديعة من الألفاظ المنتقاة ، والأساليب الرائعة .

ولعل صاحب الرسالة درس فن القصة في الأدب ، وأدرك من عناصرها الأساسية الخيال الذي يعتمد على التصور ، وأنه كلما ارتقى خيالها ونأى عن الواقع كثر الشوق إليها ، ورغبت النفس فيها ، واستمتعت بقراءتها ، ثم قاس القصص القرآني على القصة الأديبة .

وليس القرآن كذلك ، فإنه تنزيل من عليم حكيم ، ولا يرد في أخباره إلا ما يكون موافقاً للواقع ، وإذا كان الفضلاء من الناس يتورعون من أن يقولون زوراً ويعدونه من أقبح الرذائل المزرية بالإنسانية ، فكيف يسوغ لعاقل أن يلصق الزور بكلام ذي الجلال والإكرام عز وجل ؟

والله تعالى وهو الحق يقول : (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) .[٣٢]

وأرسل رسوله بالحق : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) [٣٣] (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) [٣٤] .

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) [٣٥] .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً) [٣٦] .

---

[٣٢] / سورة الحج : ٦٢ .
[٣٣] / سورة فاطر : ٢٤ .
[٣٤] /ا سورة المائدة : ٤٨ .
[٣٥] / سورة فاطر : ٣١ .
[٣٦] / سورة النساء : ١٧٠ .

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً)[٣٧] . (المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ)[٣٨] .

اختلاف القصص القرآني عن القصص الأخرى :

يختلف القصص القرآني عن غيره من القصص من حيث الموضوع ، ومن حيث سرد حوادث القصة والهدف منها وأسلوبها :

فالقرآن يتخير من الموضوعات ما فيه العظة والعبرة ، وما يتفق مع مستوى المخاطبين ، وأما القصص الأخرى فكثيرا ما يكون موضوعها شريرا داعيا إلى الانحراف ، باعثا إلى القتل والسرعة وكل السلوك المخل الداعي إلى الرذيلة والفسوق والفساد .

ثم أن القرآن لا يعنى بسرد حوادث القصة سردا تاريخيا ، بقدر عنايته بأثر كل جزئية من جزئياتها ، وما يترتب عليها من منافع أو مضار ، فكثيرا ما يجزئ القصة ويكرر حوادثها في جسور مختلفة ، ويذكر طرفا منها ويشير إلى آخر ، ويهمل الباقي من القصة .

بخلاف القصاصين الذين يعتنون بالتلاعب بالعواطف ، وإثارة المشاعر والانفعالات من أجل التسلية وقتل الوقت .

كما نلاحظ أن القرآن الكريم يعنى بالأهداف عقب سرد الحوادث ويبرر الغاية بعد ذكر الوقائع ، ويخاطب العقول ، ويستحث أولي الألباب أن يتعمقوا ويتدبروا ويتعظوا[٣٩] .

أسلوب قصص القرآن الكريم :

مما يجب معرفته أن جميع ما قصه الله تعالى في القرآن الكريم ، حكاية عن من هم ليسوا عربا ، من أصحاب القرون الماضية ، إنما هو معرب عن معانيهم ، وليس بحقيقة ألفاظهم .

---

[٣٧] / سورة المائدة:٤٨

[٣٨] / سورة الرعد : ١ .

[٣٩] / انظر : مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص : ٧ .

فالقرآن إذ يحكي عن قوم كانوا يتكلمون السريانية مثلا ، ينقل أقوالهم ومجادلاتهم ، فإنه يعرب عن معاني ألفاظهم ، ويحكي مضامين كلامهم باللغة العربية .

فهي ترجمة كاملة لا نقص فيها ولا زيادة ، وهي ترجمة دقيقة ، لا تحريف فيها ولا اختلاف ، لأنها من خالق اللغات ، والعليم بكل شئ . ولهذا يقول جل شأنه : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)[٤٠] ، وحسن قصصه من حسن أداء عباراته ، لما فيه من المقاصد والحقائق ، والعبر والحكم ، وصدق اللّه جل جلاله حين يقول : (اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً)[٤١] .

---

[٤٠]/ سورة يوسف : الآية : ٣ .

[٤١]/ سورة النســـــاء :الآية :٨٧.

المبحث الثالث
فوائد القصص القرآني

فوائد ذكر القصص في القرآن الكريم :

ذكر العلماء فوائد عامة لذكر القصص في القرآن الكريم[٤٢] ، أهمها :

١ / الدلالة على صدق وصحة رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

فإن هذه القصص إخبار بالغيب بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه أمي لم يقرأ في كتب السابقين أو يطلع عليها ، كما لم يتصل بأهل الكتاب ، بل إن بعض القصص نزل جوابا عن تحدي أهل الكتاب وكفار قريش ، فدل ذلك على أنه أخبر بالغيب ، والإخبار بالغيب معجزة دالة عل صدق النبي ﷺ .

وفي ذلك يقول تعالى : (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٭ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)[٤٣] .

ويقول جل من قائل : (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ٭ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)[٤٤] .

ويقول تعالى في قصة يوسف عليه السلام : (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ)[٤٥] ، ويقول تعالى : (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٭ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٭ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)[٤٦] .

٢ / بيان أن دعوة النبي ﷺ متفقة في أصولها مع دعوة من سبقه من الأنبياء :

---

[٤٢]/ انظر : موسى شاهين لاشين ، اللآلي الحسان في علوم القرآن ، ص : ٢٧١ . وانظر : مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الخامس ، سنة : (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) ص : ١٤ .

[٤٣]/ سورة آل عمران : الآية : (٤٤ـ ٤٥) .

[٤٤]/ سورة هـود : الآية : (٤٨ـ ٤٩) .

[٤٥]/ سورة يوسف : الآية : ١٠٢ .

[٤٦]/ سورة القصص : الآية : (٤٤ـ ٤٥ـ ٤٦) .

فلا عذر لمن لم يؤمن بها وفي ذلك يقول تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)[٤٧].

وقد ذكرت القصص القرآنية دعوة الأنبياء لأممهم للوحدانية، ونبذ الأصنام و الإيمان باليوم الآخر، وإتباع الفضائل وترك الرذائل.

٣ / إعلام النبي ﷺ وإعلام المسلمين بأحوال الأنبياء والأمم السابقة:

لتكون لديهم الحجة على معارضة أهل الكتاب وتحديهم وتعنتهم كما قال تعالى: (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرائيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[٤٨].

٤ / تثبيت فؤاد النبي ﷺ:

وتقوية عزيمته للمضي في الدعوة برغم ما يلاقي من أذى واضطهاد، فما يقال له إلا ما قد قيل للرسل من قبله، وإن يكذبوه فقد كذبت رسل من قبله، وإن يؤذوه فقد صبر الرسل من قبل على ما كذبوا، وأوذوا حتى أتاهم نصر الله، ولا مبدل لكلماته. ولقد جاءه من نبأ المرسلين. فليصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولا يكن كصاحب الحوت إذ نادى ربه وهو مكظوم[٤٩].

٥ / تثبيت فؤاد المؤمنين وغرس الثقة بنصر الله في نفوسهم:

وتسليتهم عما أصابهم بما آلت إليه حال المؤمنين السابقين، وحال أعدائهم الكافرين.

٦ / العظة والعبرة لكل من الفريقين المؤمنين والكافرين:

فقد اشتملت القصة القرآنية، على كثير من العظات والعبر التي تؤثر في النفوس العاقلة، والتي تدفع الكافرين إلي الإيمان لئلا يصيبهم مثل ما أصاب الأمم من قبلهم، ولئلا يحل من العذاب العاجل ما حل بقوم هود أو قوم صالح أو قوم إبراهيم أو قوم لوط، وتدفع المؤمنين لزيادة التمسك بدينهم، والتفاني في نشر تعاليمه، وتحمل الأذى في سبيله، لينالوا من النعيم ما أعد لهم ولأمثالهم من السابقين.

---

[٤٧] / سورة الأنبياء: الآيـــــة: ٢٥.

[٤٨] / سورة يوسف: الآية: ١٠٢.

[٤٩] / انظر: تفسير الإمام الطبري: ١٥ / ٢٩٦.

وفي ذلك يقول جل شأنه : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[٥٠].

ويقول تعالى : (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)[٥١].

ويقول : (فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ * ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ)[٥٢].

٧ / إحياء ذكر الأنبياء السابقين ، والأولياء والشهداء والصالحين :

فإن في ذكرِ قصصهم تخليدا لجهادهم وفضلهم ما بقى القرآن مكتوبا في المصاحف متلوا في الصدور ، استجابة لدعوة إبراهيم [عليه السلام] حيث قال : (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)[٥٣] .

تلك الفوائد العامة ، أو الأصول الجامعة لفوائد ذكر القصص في القرآن وهنالك فوائد أخرى كثيرة تخص كل قصة على حدة [٥٤] .

هنالك فوائد أخرى نجمل أهمها فيما يأتي :

١- إيضاح أسس الدعوة إلى الله ، وبيان أصول الشرائع التي يبعث بها كل نبي : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥].

٢- تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجندة ، وخذلان البطل وأهله: ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ [هود: ١٢] .

٣- تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم .

٥٠/ سورة يوسف : الآية : ١١١.

٥١/ سورة هود : الآية :١٢٠.

٥٢/ سورة يونس : الآية : (١٠٣ــ ١٠٣) .

٥٣/ سورة : الشــــــــــعراء : الآية :٨٤ .

٥٤/ انظر اللآلي الحسان ، مصدر سابق ، ص : ٢٦٦ .

٤- إظهار صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال .

٥- مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى ، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل ، كقوله تعالى : ﴿ كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسة من قبل أن تنزل التوراة ، قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾[آل عمران: ٩٣].

٦- والقصص ضرب من ضروب الأدب ، يصغى إليها السامع ، وترسخ عبره في النفس : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ﴾[يوسف: ١١١][55] .

٧-بيان حكم الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص لقوله تعالى : ﴿ ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر﴾

٨- بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين لقوله تعالى عن المكذبين : ﴿ وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك ﴾ .

٩- بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين لقوله تعالى : ﴿ إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ﴾ .

١٠- تسلية النبي ﷺ عما أصابه من المكذبين له لقوله تعالى : ﴿ وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ﴾ .

١١ــ ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين وانتصار من أمروا بالجهاد لقوله تعالى : ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ .

١٢ــ تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم لقوله تعالى : ﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ﴾.

١٣ــ إثبات رسالة النبي ﷺ فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله عز وجل لقوله تعالى : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك

---

(55) انظر مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان (٣١٧-٣١٨)

من قبل هذا ﴾ وقوله ﴿ ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله ﴾ (٥٦) .

المبحث الرابع
أقسام القصة القرآنية

أقسام القصة من ناحية القالب والمظهر :

و يقسم الفن القصصي من ناحية القالب و المظهر إلى أربعة أقسام :ــ

(١) الأقصوصة :

و هي قصة قصيرة يعالج في الكاتب جانبا من الحياة ، لا كل جوانب هذه الحياة . فهو يقتصر على سرد حادثة ، أو بضع حوادث يتألف منها موضوع مستقل بشخصياته و مقوماته . على أن الموضوع مع قصره يجب أن يكون تاما ناضجا من وجهة التحليل و المعاجلة ، و لا يتهيأ هذا إلا ببراعة يمتاز بها الكاتب الاقصوصى ، إذ أن المجال أمامه ضيق محدود ، فهو يتطلب التركيز الفني .

(٢) القصة :

و تتوسط بين الأقصوصة و الرواية ، و فيها يعالج الكاتب جوانب أرحب مما يعالج في الأولى ، فلا بأس هنا أن يطول الزمن و تمتد الحوادث و يتوالى تطورها في شيء من التشابك .

(٣) الرواية :

و فيها يعالج المؤلف موضوعا كاملا أو أكثر ، زاخرا بحياة تامة أو أكثر ، فلا يفرغ القارئ منها إلا و قد الم بحياة البطل أو الأبطال في مراحلها المختلفة .

(٤) الحكاية :

أما الحكاية فهي سرد واقعة أو وقائع حقيقية أو خيالية لا يلتزم فيها الحاكي قواعد الفن الدقيقة ، بل يرسل الكلام كما يواتيه طبعه .

عناصر القصة :

ويفرض العلماء في القصة الفنية بمعناها العام وجود ثلاثة عناصر رئيسية هي الموضوع ، و الشخصيات ، و الحوار . ثم يضيفون بدقة شروط كل من هذه العناصر و يبينون أنواع الخلل التي تطرأ عليها فتحيلها من قصة فنية إلى غير فنية .

الأسس الفنية للقصة :

---

(٥٦) انظر أصول في التفسير للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٥٣-٥٤).

و من القواعد التي يقررونها ما يأتي :ـــ

١ــ أن تكون للقصة وحدة فنية .

٢ــ أن يراعي في عرضها جانب التلميح ما أمكن .

٣ــ أن يعني كاتبها برسم شخصيات القصة .

٤ــ أن يكون للقصة هدف و مغزى .

٥ــ ألا تظهر فيها الموعظة أو الحكمة ظهورا مباشرا .

٦ــ ألا تخلو من عنصر التشويق .

٧ــ أن يكون أسلوبها طبيعيا لا هو بالمتهافت و لا بالبالغ الصعوبة .

القصة القرآنية وسيلة من وسائل الدعوة :

و القصة في القرآن الكريم ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه و طريقه عرضه وإدارة حوادثه ــ كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة التي ترمى إلى غرض فني طليق إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية ، و القرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء و القصة إحدى وسائله لا بلاغ هذه الدعوة و تثبيتها .

و قد خضعت القصة القرآنية في موضوعها و في طريقة عرضها ، وإدارة حوادثها لمقتضي الأغراض الدينية ، و لكن هذا الخضوع الكامل للغرض الديني لم يمنع بروز لخصائص الفنية في غرضها ، و لا سيما خصيصة القرآن الكبرى في التعبير ، و هي و التصوير.[٥٧]

قصص القرآن بين الإيمان والإلحاد:

وقد تعرض كتاب الله عز وجل لعدد من الشبهات التي يذيعها الملاحدة والمستشرقين والمغرضين، وأذيالهم ممن ينتسبون إلى المسلمين ويتسمون بأسمائهم، ومن ذلك ما هذى به طه حسين حول قصة إبراهيم عليه السلام وبنائه الكعبة[(٥٨)] إلا أن علماء الإسلام تصدوا له وردوا عليه وبينوا المحجة بأوضح حجة.

---

[٥٧] / التصوير الفني في القرآن ، للاستاذ سيد قطب ص ١١٧ .

[(٥٨)] كما في كتابه على هامش السيرة.

ومن ذلك أن أحد الطلاب الجامعيين في مصر قدم رسالة لنيل درجة (الدكتوراه) كان موضوعها : (الفن القصصي في القرآن) [٥٩] أثارت جدلاً طويلاً سنة ١٣٦٧ هجرية ، وكتب عنها أحد أعضاء اللجنة الذين اشتركوا في مناقشة الرسالة _ وهو الأستاذ أحمد أمين _ تقريراً بعث به إلى عميد كلية الآداب ، ونشر في مجة (الرسالة) وقد تضمن التقرير نقداً لاذعاً لما كتبه الطالب الجامعي ، وإن كان أستاذه المشرف قد دافع عنه . وصدر الأستاذ (أحمد أمين) بالعبارة الآتية :

(وقد وجدتها رسالة ليست عادية ، بل هي رسالة خطيرة ، أساسها أن القصص في القرآن عمل فني خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام لصدق التاريخ . (والواقع أن محمداً فنان بهذا المعنى) ، ثم قال : (وعلى هذا الأساس كتب كل الرسالة من أولها إلى آخرها ، وإني أرى من الواجب أن .

أسوق بعض أمثلة ،توضح مرامي كاتب هذه الرسالة وكيفة بنائها) ، ثم أورد الأستاذ (أحمد أمين) أمثلة منتزعة من الرسالة تشهد بما وصفها به من هذه العبارة المجملة[٦٠].

كإدعاء صاحب الرسالة أن القصة في القرآن لا تلتزم الصدق التاريخي . وإنما تتجه كما يتجه الأديب في تصوير الحادث تصويراً فنياً ، وزعمه أن القرآن يختلق بعض القصص وأن الأقدمين أخطأوا في عد القصص القرآني تاريخاً يعتمد عليه ..

والمسلم الحق هو الذي يؤمن بأن القرآن كلام الله ، وأنه منزه عن ذلك التصوير الفني الذي لا يعنى فيه بالواقع التاريخي، وليس قصص القرآن إلا الحقائق التاريخية تصاغ في صور بديعة من الألفاظ المنتقاة ، والأساليب الرائعة .

ولعل صاحب الرسالة درس فن القصة في الأدب ، وأدرك من عناصرها الأساسية الخيال الذي يعتمد على التصوير، وأنه كلما ارتقى خيالها ونأى عن الواقع كثر الشوق إليها ، ورغبت النفس فيها ،واستمتعت بقرائتها . ثم قاس القصص القرآني على القصة الأدبية .

وليس القرآن كذلك فإنه تنزيل من عليم حكيم ، ولا يرد في أخباره إلا ما يكون موافقاً للواقع ، وإذا كان الفضلاء من الناس يتورعون من أن يقولوا زوراً ويعدونه من أقبل الرذائل المزرية بالإنسانية ، فكيف يسوغ العاقل أن يلصق الزور بكلام

---

(٥٩) هو الدكتور محمد أحمد خلف الله .

(٦٠) انظر نقد كتاب (الفن القصصي في القرآن) –للأستاذ محمد الخضر حسين – بلاغة القرآن صـــ ٩٤.

ذي العزة والجلال ؟ والله تعالى هو الحق :﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنما بدعون من دونه هو الباطل ﴾[الحج: ٦٢].

وأرسل رسوله بالحق :﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً﴾[فاطر: ٢٤].

﴿ والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق ﴾[فاطر:٣١].

﴿ يا أيها الناس قد جائكم الرسول بالحق من ربكم ﴾[النساء: ١٧].

﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق ﴾[المائدة: ٤٨].

﴿والذي أنزل إليك من ربك الحق ﴾[الرعد:١].

وما قصه الله تعالى في القرآن هو الحق : ﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق ﴾[الكهف: ١٣].

﴿نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق ﴾[القصص: ٣][٦١].

---

(٦١) انظر مباحث في علوم القرآن للقطان (٣١٩-٣٢١).

المبحث الخامس
أغراض القصة في القرآن

أغراض القصة في القرآن :

سيقت القصة في القرآن لتحقيق أغراض دينية بحتة ، و قد تناولت من هذه الأغراض عددا وفيرا من الصعب استتصاؤه ، لأنه يكاد يتسرب إلى جميع الأغراض القرآنية ، فاثبات الوحي و الرسالة ، و اثبات وحدانية الله ، توحيد الأديان في أساسها و الإنذار و التبشير ، و مظاهر القدرة الإلهية ، و عاقبة الخير و الشر ، و العجلة و التريث ، و الصبر و الجزع ، و الشكر و البطر ، و كثير غيرها من الأغراض الدينية و المرامي الخلقية قد تناولته القصة و كانت أداة له و سبيلا إليه .

فإذا نحن استعرضنا هنا أغراض القصة القرآنية فإنما نثبت أهم هذه الأغراض وأوضحها و هي :ـــ

١ـــ إثبات الوحي و الرسالة :

و بيان أن الدين كله من عند الله من عهد نوح إلى عهد محمد. و أن المؤمنين كلهم أمة واحدة و الله الواحد رب الجميع.

و في سورة الأنبياء مظهر واضح لوحدة الرسالات فقد تحدثت السورة عن قصص الأنبياء فذكرت طرفا من قصة موسى و هارون و إبراهيم ولوط وداوود ، و سليمان و أيوب و إسماعيل و إدريس وذي الكفل وذي النون و زكريا و مريم ، ثم عقبت على ذكرهم جميعا بالآية الكريمة : (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء : ٩٢) . وهذا هو الغرض الأصيل من هذا الاستعراض الطويل . و غيره من الأغراض الأخرى يأتي عرضا و في ثناياه .

٢ـــ بيان أن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة :

و أن استقبال قومهم لهم متشابه فضلا عن أن الدين من عند الله الواحد أنه قائم على أساس واحد .

وفي سورة هود يقول القرآن الكريم ..

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٭ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ..الخ الآيات) (هود: ٢٥ـــ ٤٩).

(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ..) الآيات (هود: ٥٠ـــ ٦٠).

(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ..) (هود: ٦١ ــ ٦٨).

فنجد في هذه الآيات من سورة هود أن دعوة الرسل واحدة و إجابة قومهم تكاد أن تكون واحدة، أن قصة كل نبي تشابه مع الأخرى في الدعوة و الجهاد و النضال، و البداية والختام.

٣ــ بيان أن الله ينصر أنبياءه في النهاية و يهلك الكاذبين :

و في ذلك تثبيت لقلب رسول { صلي الله عليه وسلم } ، و قلوب الأمة المحمدية ، و تقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده و خذلان الباطل و أهله . س

لقد نصر الله نوحا و أغرق قومه ، و أنقذ إبراهيم من النار ونجاه من كيد الكافرين ، و أنقذ لوط و اهلك قومه بالخسف و العذاب . و قصص الأنبياء يحكي عاقبة المكذبين بالرسل وما ذاقوا من ألوان العذاب . قال تعالى :

(وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ٭ فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (العنكبوت : ٣٩ ــ ٤٠) . و تلك هي النهاية الواحدة للمكذبين .

و يقول سبحانه : (وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)(هود : ١٢٠) .

٤ــ تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم و تخليد آثارهم وبيان نعمة الله تعالى عليهم :

كقصص سليمان وداوود و أيوب و إبراهيم و مريم و عيسى و زكريا و يونس و موسى ، فكانت ترد حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء يبرز فيها النعمة في مواقف شتى .

٥ــ بيان قدرة الله على الخوارق :

كقصة خلق آدم . و قصة مولد عيسى ، و قصة إبراهيم و الطير الذي آب إليه بعد أن جعل على كل جبل منه جزءا و قصة (الذي مر على قرية و هي خاوية على عروشها) و قد أماته الله مائة عام ثم بعثه .

٦ــ بيان عاقبة الاستقامة و الصلاح ، و عاقبة الانحراف و الإفساد :

كقصة ابني آدم ، و قصة صاحب الجنتين و قصة بني إسرائيل بعد عصيانهم ، و قصة سد مأرب و قصة أصحاب الأخدود .

٧ـ بيان الفارق بين الحكمة الإنسانية العاجلة ، و الحكمة الكونية البعيدة الآجلة :

كقصة موسى و الخضر . إلى آخر هذه الأغراض الوعظية ، التي كانت تساق لها القصص فتفي بمغزاها .

المبحث السادس
الإسرائيليات والقصص القرآني

وصف اللّه سبحانه وتعالى التوراة التي أنزلها على سيدنا موسى عليه السلام ، فقال سبحانه وتعالى : (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (الأنعام : ١٥٤).

وظل اليهود متمسكين بالتوراة بعض الزمان ، لكنهم ما لبثوا أن شرعوا في تحريفها و تبديلها و تغييرها و تأويلها ، و إبداء ما ليس منها ، كما قال اللّه فيهم : (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران : ٧٨) . فأخبر اللّه تعالى أنهم يفسرونها و يتأولونها ، و يضعونها على غير مواضعها ، و هذا محل إجماع من علماء المسلمين .

و أما النصارى فإن أناجيلهم الأربعة ـ من طريق مرقس و لوقا و متى و يوحنا ـ أشد اختلافا و أكثر زيادة و نقصا ، و أفحش تفاوتا من التوراة .

و لهذا نبه المسلمون إلى الحيطة من الأخذ عن أهل الكتاب ، فقد روى البخاري عن رسول اللّه {صلى اللّه عليه وسلم } أنه قال : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، و قولوا آمنا باللّه و ما أنزل إلينا و ما أنزل إليكم و إلهنا و إلهكم واحد و نحن له مسلمون) .

و كان رسول اللّه { صلي اللّه عليه و سلم } لا يحب الاستدلال على شيء من ألسنة أهل الكتاب . فقد روى أحمد بسند صحيح عن جابر بن عبد اللّه أن عمر بن الخطاب أتى النبي { صلى اللّه عليه و سلم } بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبي { صلي اللّه عليه و سلم } ، قال : فغضب و قال : (أمتهم كون فيها يابن الخطاب ؟ أي أمتحيرون في ملة الإسلام أنتم يا أبن الخطاب ؟ و الذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوا به و الذي نفسي بيده ، لو أن موسى كان حيا ما و سعه إلا أن يتبعني) .

و روى البخاري عن ابن عباس أنه قال : (كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ، و كتابكم الذي أنزل اللّه على رسوله أحدث الكتب باللّه ؟ تقرءونه غضا لم يشب ، و قد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب اللّه و غيروه ، و كتبوا بأيديهم

الكتاب ، و قالوا هو من عند اللّه ، ليشتروا به ثمنا قليلا . ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ لا و اللّه ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم) .
قال ابن كثير :أما الأخبار الإسرائيلية ، فيما يذكره كثير من المفسرين و المؤرخين ، فكثيرة جدا ، و منها ما هو صحيح موافق لما و قع ، و كثير منها بل أكثرها مما يذكره القصاص ، مكذوب مفتري و ضعه زنادقتهم و ضلالهم . و هي ثلاثة أقسام : منها هو معلوم البطلان لمخالفته كتاب اللّه و سنة رسوله ، و منها ما يحتمل الصدق و الكذب فهذا الذي أمرنا بالتوقف فيه ، فلا نصدقه و لا نكذبه .

و قد ذكرنا في قصة آدم { عليه السلام } خبرا إسرائيليا ، و بينا وجه فساده ، و نسوق هنا بعض الترهات الإسرائيلية ، لنرى مدى تغلغل الخرافات في قصص وتفسير القرآن الكريم .

جاء في تفسير ابن جرير : فلما فرغ نوح من صنع السفينة ، و نبع الماء ، و صار في السكك خشيت أم الصبي عليه ، و كانت تحبه حبا شديدا ، فخرجت به إلى الجبل ، حتى بلغت ثلثه ، ، فلما بلغها الماء خرجت به ، حتى استوت على الجبل ، فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها ، فغرقا ، فلو رحم اللّه من قوم نوح أحدا لرحم أم الصبي . و يزعم بعض المفسرين أن عوج بن عنق ، كان موجودا من قبل نوح ، و بقى حيا إلى زمان موسى . و يقولون : إنه كان كافرا متمرادا جبارا عنيدا . و يقولون : ولدته أمه عنق بنت آدم من زنا ، و أنه كان يأخذ من طوله السمك من قرار البحر ، و يشويه في عين الشمس ، و أنه كان يقول لنوح ، و هو في السفينة ، ما هذه القصعة التي لك ؟ يعني السفينة ، و يستهزئ به ، و يذكرون أن طوله كان ثلاثة آلاف ذراع و ثلثمائة و ثلاثة و ثلاثين ذراعا و ثلث ذراع ... إلى غير ذلك .

و قال ابن كثير : و هذا مخالف للمعقول و المنقول .

أما المعقول ، فكيف يسوغ فيه أن يهلك اللّه و لد نوح للكفر ، و أبوه نبي الأمة ، ولا يهلك عوج بن عنق ، و هو أظلم و أطغى على ما ذكروا ؟ و كيف لا يرحم اللّه منهم أحدا ، و لا أم الصبي و لا الصبي ، و يترك هذا الجبار العنيد الفاجر الكافر الشيطان المريد على ما ذكروا ؟

و أما المنقول ، فقد قال اللّه تعالى : (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ) (الشعراء : ٦٦) (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً) (نوح : ٢٦) .

ثم إن هذا الطول الذي ذكروه مخالف لما في الصحيحين عن النبي { صلى الله عليه و سلم } أنه قال : (إن الله خلق آدم و طوله ستون ذراعا ، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن) . فهذا نص الصادق المصدوق ، و هو يقتضي أنه لم يوجد من ذرية آدم من كان أطول منه ، فكيف يترك هذا ، و يذهل عنه ، و يصار إلى أقوال الكذبة الكفرة من أهل الكتاب الذين بدلوا كتب الله المنزلة ، و حرفوها وأولوها ، ووضعوها على غير مواضها .

و جاء في بعض التفاسير أن الذبيح إسحاق و ليس إسماعيل .

قال ابن كثير : و مستند القائلين بأنه إسحاق الإسرائيليات ، و كتابهم فيه تحريف و لا سيما هنا قطعا لا محيد عنه ، فإن عندهم : إن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده ، و في نسخه من المعربة (بكره إسحاق) فلفظة (إسحاق) ههنا مقحمة مكذوبة مفتراة ، لأنه ليس هو الوحيد ، و لا البكر . ذاك إسماعيل .

و إنما حملهم على هذا حسد العرب ، فإن إسماعيل هو أبو العرب ، الذين يسكنون الحجاز ، الذين منهم رسول الله { صلي الله عليه و سلم } ، و إسحاق والد يعقوب ، و هو إسرائيل الذي ينتسبون إليه ، فأرادوا أن يجروا ها الشرف إليهم ، فحرفوا كلام الله و زادوا فيه ، و هم قوم بهت .

ثم قال : و قد قال بأنه إسحاق طائفة كثيرة من السلف و غيرهم ، و إنما أخذوه ــ و الله أعلم ــ من كعب الأحبار ، إو صحف أهل الكتاب ، و ليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم ، حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز ، و لا يفهم هذا من القرآن ، بل المفهوم ، بل المنطوق ، بل النص عند التأمل على أنه إسماعيل .

و جاء في بعض التفاسير ، أنه لما طلب من بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة خرج من عند الجبارين عوج بن عنق ، إلى بني إسرائيل ليهلكهم ، و كان طوله على ما ذكرنا ، قالوا : فعمد عوج بن عنق إلي قمة جبل ، فاقتلعها ، ثم أخذها بيده ليلقيها على جيش موسى ، فجاء طائر ، فنقر تلك الصخرة ، فحرقها ، فصارت طوقا في عنق عوج بن عنق ، ثم عمد موسى إليه ، فوثب في الهواء عشرة أذرع ، و طوله عشرة أذرع ، و بيده عصاه و طولها عشرة أذرع فوصل إلى كعب قدمه ، فقتله .

قال بن كثير : و هذا من و ضع جهال بني إسرائيل ، فإن الأخبار الكذبة قد كثرت عندهم ، و لا تمييز لهم بين صحتها و باطلها .

المبحث السابع
الهدف الديني للقصص في القرآن الكريم

آثار خضوع القصة للغرض الديني :

خضعت القصة في القرآن للأغراض الدينية فترك هذا الخضوع آثارا واضحة في طريقة عرضها بل و في مادتها و من أوضح هذه الآثار ما يلي :ـــ

١ــ تكرار القصة الواحدة :

و نعني بالتكرار أن ترد القصة الواحدة مكررة في مواضع شتي ، و لكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها ــ غالبا ــ إنما هو تكرار لبعض حلقاتها و معظمه أشارات سريعة لموضع العبرة فيها . أما جسم القصة كله فلا يكرر إلا نادرا و لمناسبات خاصة في السياق.

و حين يقرأ الإنسان هذه الحلقات المكررة ملا حظا السياق الذي وردت فيه يجدها مناسبة لهذا السياق تماما ، في اختيار الحلقة التي تعرض هنا أو هناك ، و في طريقة عرضها كذلك ، و يجب أن نذكر دائما أن القرآن كتاب دعوة دينية ، و أن التناسق بين حلقة القصة التي تعرض و السياق الذي تعرض فيه هو الغرض المقدم .

على أن هناك ما يشبه أن يكون نظاما مقررا في عرض الحلقات المكررة من القصة الواحدة ــ يتضح حين تقرأ بحسب ترتيب نزولها ــ فمعظم القصص يبدأ بإشارة مقتضبة ثم تطول هذه الإشارات شيئا فشيئا ، ثم تعرض حلقات كبيرة تكون في مجموعها جسم القصة ، و قد تستمر الإشارات المقتضبة فيما بين عرض هذه الحلقات الكبيرة عند المناسبات حتى إذا استوفت القصة حلقاتها عادت هذه الإشارات هي كل ما يعرض منها .

و نضرب مثالا على هذا النظام ، قصة موسى ، إذا إنها اشد القصص في القرآن تكرارا فهي من هذه الوجهة تعطى فكرة كاملة عن هذا التكرار .

وردت هذه القصة في حوالي الثلاثين موضعا في القرآن : من أهمها ما ذكر في عشرين سورة سنذكرها حسب ترتيب نزولها .

في سورة الأعلى ثم في سورة الفجر ثم في سورة الأعراف .. ثم الفرقان ثم مريم ثم طه ، ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص ثم الإسراء ثم يونس ثم هود ثم غافر ثم فصلت ثم الذاريات ثم الكهف ثم إبراهيم ثم الأنبياء ثم النساء ثم المائدة .

و إذا قرانا الآيات التي تناولت قصة موسى في هذه السور رأينا أن فيها نوعا من التكرار و أنه ــ فيما عدا ستة مواضع ــ إشارات وعظية إلى القصة اقتضاها السياق ، أما الحلقات الأساسية فلم تكرر تقريبا ، و إذا كررت حلقة منها جاءت بشيء جديد في تكرارها .

و هذه القصة نموذج للقصص الأخرى و على ضوئها ندرك أن ليس في القصص القرآني ذلك التكرار المطلق الذي يخيل لبعض من يقرأون القرآن بلا تدقيق و لا إمعان .

٢ــ انتخاب أجزاء من القصة :

و كان من آثار خضوع القصة في القرآن للغرض الديني ــ غير التكرار ــ أن تعرض بالقدر الذي يكفي لأداء هذا الغرض و من الحلقة التي تتفق معه ، فمرة تعرض القصة من أولها و مرة من وسطها ومرة من آخرها و تارة تعرض كاملة ، و تارة يكتفي ببعض حلقاتها ، و تارة تتوسط بين هذا و ذاك بحسب العبرة في هذا الجزء أو ذاك . ذلك أن الهدف التاريخي لم يكن من بين أهداف القرآن الأساسية كالهدف القصصي سواء ، فسارت القصة و هدفها الأول هو الهدف الديني [٦٢] . على النحو التالي :ــ

(أ) نجد قصصا تعرض منذ الحلقة الأولى : حلقة ميلاد بطلها ، لأن في مولده عظة بارزة و ذلك مثل قصة ميلاد آدم و عيسى . و لأن في مولدهما دليل القدرة الكاملة للّه (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (آل عمران : ٥٩) .

كما عرض القرآن قصة موسى من حين مولده ، و نجاته من القتل و قصة إسماعيل حيث ولد لإبراهيم على الكبر ، و قصة ميلاد يحيى حين استجاب اللّه لدعاء و والده زكريا.

(ب) و نجد قصصا أخرى تعرض من حلقة متأخرة نسبيا .

فيوسف تبدأ قصته صبيا يرى رؤيا تسير حياته كلها ، و تؤثر في مستقبله و إبراهيم تبدأ قصته فتى ينظر في السماء فيرى نجما فيظنه إلهه ، فإذا أفل قال لا أحب الآفلين . ثم يرى القمر و الشمس ... ثم يفيء إلى ربه و يمضي في رسالته .

(ج) ثم نجد قصصا لأتعرض إلا في حلقة متأخرة جدا .

---

[٦٢] / التصوير الفني في القرآن ص ١٣٢ .

فنوح و هود و صالح و لوط و شعيب ، و كثيرون غيرهم ، لا تعرض قصصهم إلا عند حلقة الرسالة ، و هي الحلقة الوحيدة التي تعرض من حياتهم لأنها أهم حلقة منها ، و العبرة كامنة فيها .

٣ ــ و كان من اثر خضوع القصة للغرض الديني أن تمزج التوجيهات الدينية بسياق القصة ، قبلها و بعدها و في ثناياها كذلك .

و في قصة يوسف و قصة آدم و نوح و هود ما يوضح ذلك ، و إذا تتبعنا قصص القرآن و جدنا عقب كل قصة تعقيبا دينيا يناسب العبرة فيها .

(لأن الغرض الأساسي من سياق القصة في القرآن هو الغرض الديني أولا و قبل جميع الأغراض) [٦٣] .

تنوع المفاجأة و طريقة العرض :

أن خضوع القصة في القرآن للغرض الديني لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها فقد لمس القرآن الوجدان ، و اتبع في ذلك طريقة التصوير ، فبلغ الغاية بمادته و طريقته ، و جمع بين الغرض الديني و الغرض الفني ، من أقرب طريق و من ارفع طريق .

---

٦٣ / التصوير الفني في القرآن ص ١٣٨ .

المبحث الثامن
الخصائص الفنية للقصة القرآنية

تنوع طريقة المفاجأة :

١ـ فمرة يكتم سر المفاجأة عن البطل و عن النظارة ، حتى يكشف لهم معا في آن واحد ، مثال ذلك قصة موسى مع الخضر في سورة الكهف ، فقد خرق الخضر السفينة ثم قتل الغلام ، ثم أقام الجدار و في النهاية يبين الخضر لموسى مر هذه الأفعال .

فالقصة تمثل الحكمة الكبرى . و هذه الحكمة لا تكشف عن نفسها إلا بمقدار .

٢ ـ و مرة يكشف بعض السر للنظارة . و هو خاف على البطل في موضع و خاف عن النظارة و عن البطل في موضع آخر في القصة الواحدة .

مثال ذلك عرش بلقيس الذي جيء به في غمضة عين . ثم إسلام بلقيس في النهاية بعد أن رأت صرحا ممردا من قوارير فقالت (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (النمل : ٤٤) .

٣ ـ و مرة يكشف السر للنظارة منذ أول لحظة مثل قصة أصحاب الجنة في سورة (القلم) التي تبدأ بقوله تعالى (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ) (القلم : ١٧) .

تنوع طريقة العرض :

من الخصائص الفنية للقصة القرآنية تنوع طريقة العرض .

و نشاهد في قصص القرآن أربع طرائق مختلفة للابتداء في عرض القصة على النحو التالي :ـ

١ ـ مرة يذكر ملخصا للقصة يسبقها ثم يعرض التفصيلات بعد ذلك من بدئها إلى نهايتها و ذلك كطريقة قصة (أهل الكهف) (في سورة الكهف) .

٢ـ و مرة تذكر عاقبة القصة و مغزاها ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها و تسير بتفصيل خطواتها و ذلك كقصة موسى في سورة القصص ، و قريب من هذا النحو قصة يوسف فهي تبدأ بالرؤيا يقصها يوسف على أبيه ثم تسير القصة بعد ذلك ، و كأنما هي تأويل للرؤيا توقعه يعقوب من ورائها .

٣ ـ و مرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة و لا تلخيص و يكون في مفاجأتها الخاصة ما يغني . مثل ذلك قصة مريم عند مولد عيسي و مفاجأتها ، و قصة سليمان مع النمل و الهدهد و بلقيس في سورة النمل .

٤ ـ و مرة يحيل القصة تمثيلية مثل قصة إبراهيم وحواره مع قومه عند تكسير الأصنام و حواره مع ولده عندما أمر بذبحه و تعاونه مع ولده في بناء البيت ، قال تعالى (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة :١٢٧) و في حوار إبراهيم مع ربه يقول القرآن (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (البقرة :٢٦٠) .

المبحث التاسع
الأثر الدعوي والتربوي للقصص القرآني

أثر قصص القرآن الكريم في الوعظ :

ومن أفضل أساليب الوعظ استعمال الأسلوب القصصي ، وضرب الأمثال ؛ لأن النفس البشرية مجبولة على محبة القصص ، والميل إليها ، والانتباه إلى الأمثال ، وربطها بالواقع ، وحفظها أكثر من غيرها من الأساليب ، وبمجرد سردها تُقبل الأسماع عليها ، وتتأثر بمضامينها تأثرا عظيما ، فالنفوس مولعة بمتابعة القصة ، وتهتز لها عند سماعها وتقبل لا سيما جنس العامة ؛ فعلى الداعية إلى الله أن يستخدم هذا الأسلوب عند الحاجة أو المناسبة .

ولذلك أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقص القصص فقال تعالى : { فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (١) .

وقص الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم من أحوال الأمم السابقة ، وما جرت عليهم من سنن الله تعالى التي لا تتبدل ، وذلك لأخذ العبرة والعظة ، فقال تعالى : { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ } (٢) .

بل إن الله تعالى جعل هذه القصص تثبيتا لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له أمام طوفان العداء والمكر والكيد الذي كان يواجهه من المشركين ، وأيضا تذكرة للمؤمنين الذين هم على هذا الدرب العظيم ، فقال تعالى : { وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } (١) ، وقال تعالى : { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ } (٢) ، والقرآن مليء بقصص الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأحوالهم مع أقوامهم ، وحجم المعاناة التي لاقوها في سبيل الله تعالى ، وكيف أن الله تعالى جعل العاقبة الحميدة لهم .

وأيضا قصص القرون الخالية من الأمم والشعوب الذين أصبحوا أثرا بعد عين ، بعد أن طغوا في البلاد ، وأكثروا فيها الفساد ، وما أعطاهم الله من القوة والمنعة ، وكيف دهمهم أمر الله ، فلم تغن عنهم قوتهم ولا كيدهم شيئا ، وهكذا من القصص التي فيها الغنية عن كثير من القصص وأكثر السور عرضا لهذه القصص : الأعراف ، والتوبة ، ويونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ، والنحل ، والإسراء ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، والحج ، والمؤمنون ، والنور ، والفرقان ، والشعراء ، والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ،

والروم ، ولقمان ، والسجدة ، والأحزاب ، وسبأ ، وفاطر ، ويس ، والصافات ، وص ، والزمر ، وغافر ، ونوح .

وهكذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل أسلوب القصص مع أصحابه ، وقد كشفت لنا سيرته صلى الله عليه وسلم أنواعا من القصص ، وألوانا من أحاديث مَن سبق مما أوحاه الله إليه ، والتي كان يذكر بها النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ، بعضها مطول ، وبعضها موجز ، تصف أحداثا عامة ، أو حوادث فردية ، وسلوكيات عامة وفردية ، وتنبه على أسباب نهاية الأمم ، وتحرض على التوبة ، والأمانة ، وغيرها كثير ، ليس هذا مجال سردها ، ومظانها دواوين السنة .

وقد يكون من السهل سرد القصة ، فالكثير يحسن ذلك ولكن شتان بين من يسوق قصة لا يزيد طنينها عن أن يعبر الأسماع كسحابة صيف ، ولا يمكن أن يحرك في المستمع شيئًا ، وبين من يسوق القصة نفسها ، ولكنه يجعلها نابضة بالروح ، ضاربة بأعماق المستمع ، محركة له قسرا بالتفاعل معها ، يربط فيها القاص من يستمع إليه بحلقات الإبداع من جهة استعمال نغمات الصوت حسب مقاطع القصة وفواصلها ، رفعًا وخفضا ، ومن جهة التركيز على سبكها وربطها وجمع شتاتها ، وإخفاء ما يمكن إخفاؤه من أركان القصة لتشويق المستمع وجذبه حتى نهايتها .

لأن مهمة الداعية في قصته هي نقل المستمع إلى حياة القصة التي يسردها ، بحيث يتيح له الاندماج التام في حوادثها ، ويحمله على المعايشة الكاملة معها .

إذًا ينبغي على الداعية إلى الله إذا تيسر له النجاح في سرد القصة أن ينظر في طرحه للقصة من زاوية الفائدة والمصلحة ، وهي كيفية توظيف هذه القصة في التأثير على المدعوين بشكل سليم [٦٤] .

أثر القصص التربوي :

ذكر الأستاذ مناع القطان أن للقصص القرآني آثارا تربوية هامة ، نسترشد بها في التعليم وتهذيب الأنفس والأخلاق ، فقال عن :

---

[٦٤] / عزيز بن فرحان العنزي : البصيرة في الدعوة إلى الله ، الطبعة الأولى ، دار الإمام مالك ، أبو ظبي ، سنة (١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م) الصفحات : ١٣٨ ــ ١٤١ .

مما لا شك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف – و تنفذ إلى النفس البشرية بسهولة و يسر ،و تسترسل مع سياقها المشاعر فلا تمل و لا تكل و يرتاد العقل عناصرها فيجني من حقولها الأزاهير و الثمار .

و الدروس التلقينية و الإلقائية تورث الملل ، و لا تستطيع الناشئة أن تتابعها و تستوعب عناصرها إلا بصعوبة و شدة ، و إلى أمد قصير ، و لذا كان الأسلوب القصصي أجدي نفعا ، و أكثر فائدة .

و المعهود – حتى في حياة الطفولة – أن يميل الطفل إلى سماع الحكاية ، و يصغى إلى رواية القصة ، و تعي ذاكرته ما يروى له ، فيحاكيه و يقصه .

هذه الظاهرة الفطرية النفسية ينبغي للمربين أن يفيدوا منها في مجالات التعليم ، لا سيما التهذيب الديني ، الذي هو لب التعليم ، و قوام التوجيه فيه .

و في القصص القرآني تربة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم ، و تمدهم بزاد تهذيبي ، من سيرة النبيين ، و أخبار الماضين و سنة الله في حياة المجتمعات ، و أحوال الأمم ، و لا تقول في ذلك إلا حقا و صدقا .

و يستطيع المربى أن يصوغ القصة القرآنية بالأسلوب الذي بلائم المستوى الفكري للمتعلمين ، في كل مرحلة من مراحل التعليم ، و قد نجحت مجموعة القصص الديني للأستاذين (سيد قطب و السحار) في تقديم زاد مفيد نافع لصغارنا نجاحا معدوم النظير ، كما قدم (الجارم) القصص القرآني من أسلوب أدبي بليغ أعلى مستوى ، و أكثر تحليلا و عمقا ، و حبذا لو نهج آخرون هذا النهج التربوي السديد[٦٥] .

[٦٥] / مباحث في علوم القرآن : مناع القطان ، ص : ٣٠٥ .

الخاتمـــــة :

إن القصص في القرآن الكريم يتضمن جملة من الأحداث ، التي جـاءت بغرض العبرة والاستفادة منها لتوقي مصابها الذي أودى بتلك الأمم السابقة ، والأسلوب القصصي يعتبر من أنجع الأساليب في تركيز المعني وتخزين العبرة في صورة ذهنية يمكن أن يستدعيها الإنسان متى ما أرادها . وأسـلوب السـرد القصصي من الوسائل التربوية الناجعة التي توخاها المنهج التربوي الحديث . في ترسيخ المفاهيم ونقل المعرفة بين الأمم ، كما صار الموروث الشعبي القصصي من أفضل الأساليب للدراسات الاجتماعية عن أمة بعينها أو أي مجتمع من المجتمعات .

وقد اجتهد الباحث في ذكر بعض سمات القصة في القرآن الكريم ، و هي سمات تيسر لنا القول كما قال الشهيد سيد قطب : (إن القرآن يجعل من الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية ، بلغة الجمال الفنية)[٦٦] . و مما يمكن أن نستخلصه عن مظاهر التنسيق الفني في القصة القرآنية، أنها لا تخضع للقواعد الفنية للقصة الحديثة و لا تتقيد بها ، فهي قد تتوافق معها في بعض الأحيان ، و قد تنفرد بإبداعها الفني في بعض الأحيان ، لكنها في الاتفاق و الاختلاف تبقى دائما قصة قرآنية لها سماتها و خصائصها و ميزاتها الخاصة دون أن تكون عملا فنيا مستقلا في موضوعه و طريقة عرضه و إدارة حوادثه ، و يبقى هدفها الأول و الأخير هو هدف القرآن ذاته . قال تعالى (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) (يوسف : ٣) .

و في هذا الدراسة وقف الباحث على جوانب من الحكمة في ورود القصص القرآني منها الآتي :

١ـ اكتساب عنصر التشويق والمتابعة .

٢ـ تسلية النبي ﷺ لما يرد من قصص القرآن من أحداث مشوقة .

٣ـ الاستفادة من العبرة التي سيق لأجلها القصص في القرآن الكريم .

٤ـ معرفة أساليب الدعوة وتنوعها .

٥ـ القصص القرآني يحمل مضامين تربوية عظيمة على الدعاة والتربويين الاستفادة منها في التدريس والدعوة والحجاج و الإقناع .

---

٦٦ / التصوير الفني في القرآن (مصدر سابق) ص١٣٩ .

٦ــ تنوع أساليب القرآن في ذكر الوقائع والأحداث من عناصر الجذب المعينة على التلاوة والتدبر.

و هنالك حكم بليغة لا ندركها أو نعلمها.

التوصيات :

١ــ أهمية دراسة الأسلوب القصصي لبعض السور في القرآن الكريم دراسة موضوعية منفصلة.

٢ــ على الدعاة والعاملين في الحقل التربوي ؛ الاستفادة من أسلوب القصص القرآني في مجال الدعوة والتربية.

٣ــ استخلاص النظرية القرآنية (في القصص) وإتاحتها للدارسين.

٤ــ الاستفادة من تنوع الخطاب وتوجيهه وفق الأسلوب القصصي والخطاب المباشر لأن ذلك الأسلوب يعد من أنجع الأساليب التربوية في نظرية التعلم و إيصال المعلومة.

٥ــ التوجيه لدراسة لكافة الأساليب الأدبية في القرآن الكريم ومحاولة فهم السياق القرآني في إيرادها.

٦ــ على الدارسين والباحثين في مجال التفسير وعلوم القرآن الكريم ، الوقوف على الدراسات المقارنة في كل المجالات و محاولة ربط صلتها بالقرآن الكريم.